نظرية اللــذة عند ابن تيمية

إعداد
د.مضاوي بنت سليمان البسام
استاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية جامعة الملك سعود

Ibn Taymeyah Theory of Hedonism

Modawee Soliman Albassam

Assistant professor ,College of Education ,king Saud University

المستخلص:

يعنى هذا البحث بدراسة نظرية اللذة عند ابن تيمية، ويهدف إلى: بيان مفهوم اللذة عند ابن تيمية،وأنواعها، وأحكامها، وأحوالها، وشروطها،وموقف ابن تيمية من مذهب اللذة عند الفلاسفة والرد عليهم، وبيان مآلات مذهبهم، ومن أهم نتائج البحث: نظرية اللذة عند ابن تيمية نظرية متكاملة، ومتناسقة، تقوم دعائمها على ثلاثة عناصر هي: الفطرة والشرع والعقل، تميزت نظرية اللذة عند ابن تيمية بالمعرفة الكاملة بطبيعة النفس البشرية والأساليب الموائمة لكل حالة، تميزت نظريته بإبراز جانب مهم وهو الربط بين الدين والحياة، فلذات للجسد ولذات للنفس ولذات للعقل، بدا من نظرية اللذة عند ابن تيمية وسطية الإسلام في تعامله مع اللذات، المحبة مقومٌ أساسي في نظرية اللذة عند ابن تيمية، ربطه اللذة الحقيقية بالعلم والعمل،التركيز على الجوانب النفسية والوجدانية في مضمار اللذات وبدا هذا واضحاً في تمييزه في أحكام اللذات، وإبراز اختصاص المراة والصبيان بلذات واجبة ومستحبة،أن الحياد عن الشرع والعقل والفطرة قد آل بالفلاسفة إلى فساد في الاعتقادات والعبادات بل وإنكار الشرائع، وتكذيب ما جاءت به الرسل من الوعد والوعيد، إن التفصيل في نظرية اللذة كما هو الحال في كلام ابن تيمية يجعل من الدين والتشريع في الإسلام أداة لا مندوحة عنها لتحقيق السعادة، اللذة الأبدية كما يقرر شيخ الإسلام هي لذة الآخرة برؤية الله -عز وجل- فهي أعظم لذة وهي الغاية التي يتنافس فيها المتنافسون.

الكلمات المفتاحية:اللذة، ابن تيمية، رؤية الله، الفلاسفة.

Abstract:

This research is concerned with the Ibn Taymeyah theory of hedonism. It aims to clarify the concept of hedonism according to Ibn Taymeyah, its types, its rules, its rules and conditions. Also the stand of Ibn Taymyah from the concept of hedonism at Philosophers is discussed as well as his criticism to their stand is clarified. The most important result of the current research is that "Ibn Tameyah has a complete, uniform and solid hedonism theory. His theory is based on three items; namely: Innateness, Islamic Law (Shareea) and mind. Ibn Taymeyah theory has a unique distinction in the sense that it has a complete and overall knowledge of human soul and the suitable methods for each case of the soul. Also his theory highlights a unique and important feature; that is the connection between religion and life; which means that there is a hedonisms for the body, the soul as well as for the mind. The median nature of Islam when dealing with hedonism is clearly seen in Ibn Taymeyah's hedonism theory. He considered love to be a basic fundamental rule of his hedonism theory. He also correlated hedonism with knowledge and action. He concentrated on the Psychological and emotional sides of hedonism. This can be seen clearly on his differentiation between hedonism terms when showing that women and children have special obligatory and desirable hedonisms. He made it clear that the deviation of Philosophers from Innateness, divine Law (Islamic Shareea) and mind had lead them to invalidity in believes and worshiping as well as rejection of divine

law and the denial of prophets message about promise and warning. The detail discussion in hedonism theory as done by Ibn Taymeyah make the religion and divine Law (Islamic Shareea) in islam Indispensable tool to accomplish and realization of happiness. The eternal pleasure and hedonism as stated by Ibn Taymeyah is the hereafter pleasure and hedonism by seeing Allah Almighty. It is the greatest pleasure and hedonism and it is the aim at which the competitors compete.

Key words: Hedonism, pleasure, Ibn Taymeyah' Allah seeing, Philosophers.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

من المذاهب الفسلفية التي ما زالت تنتقل ويُكثر فيها الجدل على مدى الزمن، وظلت ولادتها حية إلى يومنا هذا مذهب اللذة، إذ تعددت الآراء، وتضاربت المذاهب والفلسفات في تحديد مفهومها وطبيعتها وأجناسها وحقيقتها... وقد كانت بدايته مع سقراط وبروطاغوراس، ثم أبيقور... وأخذ ينتقل خلال العصور حتى لابسته المنفعة بدل اللذة.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – من هذه الغريزة الإنسانية أطروحات انبثقت من خلال عدد من الأسس والأصول يأتي في مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية، كما أن لطرحه اتصالاً وثيقاً بفهم حقيقة الإنسان، وطبيعة خلقه وتكوينه وغايته ومصيره؛ بل إنه لم يقتصر على هذا فقط؛ بل تصدى لمذهب الفلاسفة في اللذة دراسة وتحليلاً ونقاشاً، وبين من خلال هذه الدراسة العميقة أخطار مذهبهم ومآلاته ومدى تحقيق فلسفتهم للكمال الإنساني أو قصورها عنه.

من أجل هذا فقد عمدت هذه الدراسة إلى تقديم هذا الجانب التراثي لدى ذلك الشيخ الفذ من خلال عرض موضوعي لمذهبه في اللذة وموقفه من مذهب الفلاسفة في ذلك، فجاء عنوان الدراسة :«نظرية اللذة عند ابن تيمية».

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية البحث مع ما ذكر سابقاً إلى التالي:

١- التعريف بجانب مهم من إنجازات علم من أعلام الفكر السلفي جدير بالعناية والتأصيل.

٢- ارتباطه الوثيق بأكثر العلوم المسلكية التي تعاني من غياب الرؤية الإسلامية وهو علم الأخلاق.

٣- انغماس الإنسان المعاصر وشغفه بالملذات في ظل المادية المعاصرة، بلا نظر في قيود الدين ولا الخلق، حتى نشأت ألوان من الشذوذ في الملذات في الفن، والألبسة، والفنون، بل حتى في المواد الإباحية.

٤- تفاقم قطاعات اللذة في العالم المعاصر المعلمن كالملاهي ومدن الألعاب الهائلة، والنوادي الليلية، والمراقص والحانات وعوالم السينما...

٥- لفت أنظار الباحثين والدارسين إلى أهمية ما يزخر به التراث الإسلامي من تصورات فكرية راسخة ومتكاملة في فلسفة اللذة.

٦- إبراز الوسطية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية في نظرية اللذة بكافة حدودها وبيان غلط من ضل في هذه المسألة.

الدراسات السابقة:

لم أجد – بحسب ما اطلعت عليه – من خلال التواصل مع المراكز البحثية كمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ومكتبة الملك فهد دراسة عنيت ببيان نظرية اللذة عند ابن تيمية وحاصل ما اطلعت عليه مما له علاقة ببحثي، وإن لم تكن له علاقة مباشرة هو كالتالي:

١- فلسفة اللذة والألم – إسماعيل مظهر – وهو كتاب يقع في (١٦٤ صفحة). وهو عبارة عن عرض تاريخي لظهور مذهب اللذة وتطوراته في الفلسفة اليونانية مع شرح وبيان للمذهب وبيان سبب ظهوره، وختم المؤلف الكتاب بعرض نظرية المعرفة عند القورينيين.

وكما هو واضح ليس للكتاب أي علاقة بموضوع الدراسة، ولم يتطرق المؤلف إلى نظرية اللذة عند ابن تيمية، ولا رده على الفلاسفة بهذا الخصوص.

٢- النظرية الخلقية عند ابن تيمية – محمد عبد الله عفيفي، وهو كتاب مطبوع أصله رسالة دكتوراه – كلية دار العلوم – مصر، وهو كتاب يعالج نشأة الفكرة الخلقية في الفكر الإنساني، ونظرة ابن تيمية إلى الأخلاق والإلزام الخلقي ومقارنتها بالمدارس الكلامية، وكذلك يعالج

الكتاب مشكلة الحرية مع المقارنة بين نظرة ابن تيمية في هذا الصدد وبين بعض المذاهب الفلسفية، وأخيراً بيان البواعث والغايات الخلقية ونتائجها ومعاييرها، وقد أشار المؤلف فيما يقارب (الأربع صفحات) إلى العقل وصلته باللذة ذكر في بضعة أسطر أقسام اللذة عند الفلاسفة.

وبيان خطأ الفلاسفة في قصرهم اللذة على لذة العلم وكان هذا بشكل مختصر جداً، ولم يتطرق المؤلف إلى بيان موقف ابن تيمية من اللذة [تعريفها – أجناسها – أحوالها – أحكامها...] كما هو في هذه الدراسة ولم يعن ببيان مذهب الفلاسفة في اللذة أو الرد عليهم كما هو الحال في دراستي هذه.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

التمهيد: تعريف موجز بشيخ الإسلام ابن تيمية.

المبحث الأول: اللذة عند ابن تيمية، ويتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اللذة وأمثلتها.

المطلب الثاني: أنواع اللذات.

المطلب الثالث: أحكام اللذات.

المطلب الرابع: شروط ومراتب حصول اللذة.

المطلب الخامس: أحوال اللذات.

المبحث الثاني: موقف ابن تيمية من مذهب اللذة عند الفلاسفة ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اللذة عند الفلاسفة ومناقشتها.

المطلب الثاني: أنواع اللذات عند الفلاسفة وحقيقتها ومناقشة شيخ الإسلام.

المطلب الثالث: إثبات اللذات العقلية لله تعالى عند الفلاسفة ومناقشتها.

المبحث الثالث: النتائج المترتبة على مذهب الفلاسفة في اللذة .

المطلب الأول: الاعتقادات الفاسدة:

أولاً: إنكار رؤية الله بالأبصار يوم القيامة.

ثانياً: دعواهم الفناء في توحيد الربوبية.

ثالثاً: الإرجاء وإخراج العمل من مسمى الإيمان.

رابعاً: إهمالهم للمعارف العقلية الدينية الشرعية.

المطلب الثاني: العبادات والزهادات الفاسدة.

المطلب الثالث: تكذيبهم بحقيقة ما أخبر الله به على ألسن رسله من وعده ووعيده.

أولاً: إنكار معاد الأبدان والأرواح وإنكار الجنة والنار.

ثانياً: ما ذكروه لا تحصل به اللذة والسعادة في الدنيا والآخرة.

الخاتمة.

فهرس المراجع.

وأخيراً أسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به من كتبه ومن قرأه. والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

ترجمة مختصرة لشيخ الإسلام بن تيمية

اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد، الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي. وتيمية هي والدة جده الأعلى محمد، وكانت واعظة راوية.

ولد رحمه الله يوم الإثنين العاشر من ربيع الأول، بحران سنة ٦٦١هـ.

نشأته:

نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده وإخوانه وكثير من أعمامه كانوا من العلماء، منهم جده الأعلى الرابع محمد بن الخضر، ومنهم عبد الحليم بن محمد بن تيمية، وعبد الغني بن محمد بن تيمية، وجده الأدنى عبد السلام بن عبد الله بن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف التي منها: المنتقى من أحاديث الأحكام، والمجرد في الفقه والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك أبوه وأخوه عبد الرحمن وغيرهم.

بدأ بطلب العلم على والده وعلماء بلاده أولاً، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعرف بالذكاء والفطنة وقوة الحفظ والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبحر فيها، واجتمعت فيه صفات المجتهد واعترف بذلك الداني والقاصي، والقريب والبعيد وعلماء عصره، وشيوخه الذين سمع منهم وهم أكثر من مائتي شيخ.

خصاله:

تميز شيخ الإسلام ابن تيمية بالإضافة إلى العلم والفقه في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بخصال حميدة فكان سخياً كريماً، كثير العبادة والذكر والقرآن، وكان ورعاً زاهداً متواضعاً، ومع ذلك فقد كانت له هيبة عند السلطان، كما عرف رحمه الله بالصبر وقوة الاحتمال في سبيل الله.

جهاده:

جاهد شيخ الإسلام في الله حق جهاده، فقد جاهد بالسيف وحرض المسلمين على القتال بالقول والعمل، فقد كان يصول ويجول بسيفه في ساحات الوغى مع الفرسان والشجعان، والذين شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالأعداء.

وقد قام بالدفاع عن دمشق عندما غزاها التتار، وحاربهم عند شقحب جنوبي دمشق وكتب الله هزيمة التتار، وبهذه المعركة سلمت بلاد الشام وفلسطين ومصر والحجاز.

أما جهاده بالقلم واللسان فإنه رحمه الله وقف أمام أعداء الإسلام من أصحاب الملل والنحل والفرق والمذاهب الباطلة والبدع كالطود الشامخ فقد تصدى للفلاسفة، والباطنية، من صوفية، وإسماعيلية، ونصيرية وروافض، كما تصدى للملاحدة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة مستنداً على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح، مع قوة الاستنباط، وقوة الاستدلال والاحتجاج الشرعي، والعقلي، وسعة العلم التي وهبها الله له.

مؤلفاته:

يعتبر شيخ الإسلام من العلماء الأفذاذ الذين تركوا تراثاً ضخماً ثميناً، ولا يزال العلماء والباحثون ينهلون منه.

وقد زادت مؤلفاته على ثلاثمائة مؤلف في مختلف العلوم، وهذه بعض مؤلفاته رحمه الله تعالى.

- موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول.
- إثبات المعاد.
- الاستقامة.
- مجموع فتاوى ابن تيمية.
- إصلاح الراعي والرعية.
- منهاج السنة.
- الرسالة التدمرية.

- الرسالة الحموية.
- شرح حديث النزول.
- العبودية.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
- الكلم الطيب.
- رفع أعلام عن الأئمة الأعلام.
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

وفاته:

توفي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني رحمه الله رحمة واسعة ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨) وعمره (٦٧) عاماً، وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق.[١]

(١) انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي.

المبحث الأول:
اللذة عند ابن تيمية

المطلب الأول: تعريف اللذة وأمثلتها:

يعرف ابن تيمية اللذة بقوله:

اللذة: حال يعقب إدراك الملائم.

ويضرب لذلك مثالاً بالإنسان الذي يحب الحلو ويشتهيه فيدركه بالذوق والأكل وليست اللذة مجرد ذوقه؛ بل أمر يجده من نفسه يحصل مع الذوق فلابد أولاً من أمرين، وآخراً من أمرين لا بد أولاً: من شعور بالمحبوب ومحبة له فما لا شعور به لا يتصور أن يشتهى، وما يشعر به وليس في النفس محبة له لا يشتهى، ثم إذا حصل إدراكه بالمحبوب نفسه حصل عقيب ذلك اللذة والفرح مع ذلك.

ولهذا قال النبي ﷺ في الدعاء المأثور اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة[١].

وفي الحديث الصحيح إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة: أن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه[٢]. فاللذة مقرونة بالنظر إليه، ولا أحب إليهم من النظر إليه لما يقترن بذلك من اللذة لا أن نفس النظر هو اللذة[٣].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١/ ٣٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح ١٨١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ٥٣٧).

وفي الصحيحين أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه من سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»(١).

فبين ﷺ أن ذوق طعم الإيمان لمن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وإن وجد حلاوة الإيمان حاصل لمن كان حبه لله ورسوله أشد من حبه لغيرهما، ومن كان يحب شخصاً لله لا لغيره، ومن كان يكره ضد الإيمان كما يكره أن يلقى في النار فهذا الحب للإيمان والكراهية للكفر استلزم حلاوة الإيمان كما استلزم الرضى المتقدم ذوق طعم الإيمان، وهذا هو اللذة، وليس هو نفس التصديق والمعرفة الحاصلة في القلب ولا نفس الحب الحاصل في القلب بل هذا نتيجة ذاك وثمرته ولازم له ويحصل عقبه(٢).

والحاصل أن اللذة بمجموع ما ذكره شيخ الإسلام هي: الحال التي تعقب إدراك الملائم وتكون نتيجة وثمرة ولازم للإدراك، وليست اللذة مجرد الإدراك أو الشعور بالمحبوب أو محبته بل هي تحصل بهذين الأمرين (الشعور والمحبة)، وعلى هذا فلا يصلح أن يكون ما يوجد من اللذة هي الغاية المقصودة، لأن اللذة تتبع الشهوة، فإذا حصل ما يشتهيه وجد اللذة.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (ح١٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٣٢٧).

المطلب الثاني: أنواع اللذات (أجناسها)

اللذات عند ابن تيمية ثلاثة أجناس:

الأول: اللـذة الحسية: وهـي اللـذة المتعلقـة بالجسد كالأكـل والنكـاح ونحوهـا ممـا يكـون بإحساس الجسد، إذ أن أنواع المأكول والملبوس يباشرها الجسد.

الثاني: اللذة الوهمية: وهي مما يتخيله ويتوهمه بنفسه ونفس غيره كالمدح له، والتعظيم له والطاعة له، فإن ذلك لذيذ محبوب، وكما أن فوات الأكل والشراب يؤلمه، وأكل ما يضره يؤلمه، وكذلك فوات الكرامة بحيث لا يكون له قدر عند أحد ولا منزلة يؤلمه، كما يؤلمه ترك الأكل والشرب، ويؤلمه الذم والإهانة كما يؤلمه الأكل والشرب الذي يضره، فالمأكول والمنكوح هي أجساد تنال بالجسد يتلذذ بوجودها ويتألم بفقدها وبحصول ما يضر منها، وأما الكرامة فهي في النفوس ملائمة له وموافقة له، بأن يعتقد فيه ما يسره ويوافقه بالمحبة والتعظيم كان ذلك مما يوجب لذته، ولذته بإدراك الملائم من الناس ومدحهم المظهر لاعتقادهم ومن طاعتهم وموافقتهم المظهرة لمحبتهم وتعظيمهم.

الثالث: اللذة العقلية: وهي ما يعلمه بقلبه وروحه وبعقله كالتذاذه بذكر الله ومعرفته ومعرفة الحق وتألمه بالجهل إما البسيط وهو عدم الكلام والذكر، وإما المركب وهو اعتقاد الباطل كما يتألم الجسد بعدم غذائه تارة وبالتغذي بالمضار أخرى، كذلك النفس تتألم بعدم غذائها وهو موافقة الناس وإكرامهم تارة والتغذي بالضد وهو مخالفتهم وإهانتهم، فكذلك القلب يتألم بعدم غذائه وهو العلم الحق وذكر الله تارة والتغذي بالضد وهو ذكر الباطل واعتقاده[1].

ويبرز شيخ الإسلام وسطية الدين الإسلامي في تعامله مع هذه اللذات فيبين فطريتها وأنها ثمرة لما خلقه الله في الحي من قوى الإدراك والحركة، بل وأنها من نعم الله على عباده إذا استعملوها باعتدال، وقد تكون لهم أجراً إذا أوصلت إلى غاية أعلى، فإلى المتشددين في إنكار اللذات على العباد وإلى المنغمسين في اللذات يقول ابن تيمية: «وهذه اللذات الثلاث اللذات

(١) جامع الرسائل، ابن تيمية (٢/ ٢٤٨).

الحسية والوهمية والعقلية وقد علمت أن كل ما خلقه الله في الحي من قوي الإدراك والحركة فإنما خلقه لحكمة، وفي ذلك من جلب المنفعة للحي ودفع المضرة عنه ما هو من عظيم نعم الله عليه.

والله سبحانه بعث الرسل لتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويلها وتغييرها، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط والله شرع من الدين ما فيه استعمال هذه القوى على وجه العدل والاعتدال الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة.

ومن المعلوم أن قوي الحركة في الجسد التي هي حركات طبعية متى لم تكن على وجه الاعتدال وإلا فسد الجسم وكذلك قوى الإدراك والحركة التي فيه وفي النفس متى لم تكن على وجه الاعتدال وإلا فسد الجسد، والحركة الطبعية ليس فيها حس ولا إرادة وهذه لا تكون عن حركة إرادية، لكن لا يكون ذلك في نفس المتحرك بطبعه كحركة الغذاء قبل أن يصرفه الخارج من السبيلين وغير ذلك.

والله سبحانه قد شرع من هذه اللذات ما فيه صلاح حال الإنسان في الدنيا وجعل اللذة التامة بذلك في الدار الآخرة كما أخبر الله بذلك على ألسن رسله بأنها هي دار القرار وإليها تنتهي حركة العباد واللذة هي الغاية من الحركات الإرادية فتكون الغاية من اللذات عند الغاية من الحركات ولا يُخالف ما يوجد في الوسيلة والطريق فإن الموجود فيها من اللذات بقدر ما يعين على الوصول إلى المقصود التام وكل لذة وإن جلت هي في نفسها مقصودة لنفسها إذ المقصود لنفسه هو اللذة لكن من اللذات ما يكون عوناً على ما هو أكثر منه أيضاً فيكون مقصوداً لنفسه بقدره ويكون مقصوداً لغيره بقدر ذلك الغير وهذا من تمام نعمة الله على عباده وكل ما يتنعمون به إذا استعملوه على وجه العدل الذي شرعه أوصلهم به إلى ما هو أعظم نعمة منه»[1].

(١) جامع الرسائل (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).

المطلب الثالث: أحكام اللذة

لم ينص شيخ الإسلام على أحكام اللذات؛ لكن من خلال استقراء ماسطره عند كلامه عن اللذات نستنتج أن أحكام اللذات عنده على النحو التالي:

- **اللذة الواجبة**: وهي كل لذة أعانت على لذات الآخرة، مما أمر الله به ورسوله، والتي يثاب المؤمن على تحصيلها بما يئوب إليه منها من لذات الآخرة التي أعانت هذه عليها، كالمؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه ولباسه ونكاحه وشفاء غيظه بقهر عدوه في الجهاد في سبيل الله، ولذة علمه وإيمانه وعبادته وغير ذلك، ولذة جسده ونفسه وروحه من اللذات الحسية والوهمية والعقلية(١).

- **اللذة المستحبة**: وهي اللذة التي إذا تُركت اشتغل صاحبها بما هو شر منها، وهذا هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «**كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق**»(٢).

وكقوله لعمر – رضي الله عنه – وعنده جواري يضربن بالدف وأسكتهن لدخوله وقال إن هذا رجل لا يحب الباطل(٣)، فإن هذا اللهو فيه لذة ولولا ذلك لما طلبته النفوس، ولكن ما أعان على اللذة المقصودة من الجهاد والنكاح فهو حق وأما ما لم يعن على ذلك فهو باطل لا فائدة فيه، ولكن إذا لم يكن فيه مضرة راجحة لم يحرم ولم ينه عنه، والنفوس الضعيفة كنفوس الصبيان والنساء قد لا تشتغل إذا تركته بما هو خير منها لها بل قد تشتغل بما هو شر منه أو بما يكون التقرب إلى الله بتركه فيكون تمكينها من ذلك من باب الإحسان إليها، والصدقة عليها كإطعامها وإسقائها فلهذا قال النبي ﷺ:إن بعض أنواع اللهو من الحق، وكان الجواري

(١) انظر: الاستقامة، ابن تيمية (٢/ ١٥١).
(٢) أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله (ح ١٦٣٧).
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥)

الصغيرات يضربن بالدف عنده وكان ﷺ يمكنهن من عمل هذا الباطل بحضرته إحساناً إليهن، ورحمة بهن وكان هذا الأمر في حقه من الحق المستحب المأمور به، وإن كان هو في حقهن من الباطل الذي لا يؤمر أحد سواهن به كما كان إعطاؤه المؤلفة قلوبهم مأموراً به في حقه وجوباً أو استحباباً، وإن لم يكن مأمور به لأحد كما كان مزاحه مع من يمزح معه من الأعراب والنساء والصبيان تطييباً لقلوبهم وتفريحاً لهم مستحباً في حقه يثاب عليه(١).

- **اللذة المكروهة (الباطلة)**: وهي اللذة التي لا تعقب لذة في دار القرار ولا ألماً ولا تمنع لذة دار القرار، إذ لا منفعة منها ولا مضرة، وزمانها يسير ليس لتمتع النفس بها قدر، لأنها تشغل عما هو خير منها في الآخرة، وإن لم تشغل عن أصول اللذة في الآخرة.

وهذا هو الذي عناه النبي ﷺ بقوله: «**كل لهو يلهو به الرجل فهو باطل إلا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فإنهن من الحق**»(٢).

فهي مكروهة باعتبار أنها تصد عن اللذة المطلوبة إذ لو اشتغل اللاهي حين لهوه بما ينفعه ويطلب له اللذة المقصودة لكان خيراً له(٣).

- **اللذة المحرمة**: وهي كل لذة أعقبت ألماً في الدار الآخرة أو منعت لذة الآخرة فهي محرمة، مثل لذات الكفار والفساق بعلوهم في الأرض وفسادهم، وكاللذة التي تحصل بالكفر والنفاق كلذة الذين اتخذوا من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، ولذة عقائدهم الفاسدة، وعباداتهم المحرمة، ولذة غلبهم للمؤمنين الصالحين، وقتل النفوس بغير حقها والزنا والسرقة وشرب الخمر(٤).

---

(١) انظر: الاستقامة (٢/ ١٥٤-١٥٢).
(٢) انظر: الاستقامة، ابن تيمية (٢/ ١٥١).
(٣) انظر: الاستقامة (٢/ ١٥٤-١٥٢).
(٤) انظر: المرجع السابق (٢/ ١٥٣).

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة جليلة مختصرة في أحكام اللذة بقوله: «إن جنس اللذة لا يذم إلا لمعارض راجح من فوات منفعة أو دخول مضرة وتحمد إذا كانت مقصودة أو معينة على المقصود»(١).

ويقول شارحاً ما سبق في موضع آخر من كتبه: «إن ما تطلبه النفوس فيه لها لذة يجعله خيراً بذلك الاعتبار، لكن إذا كان الألم زائداً على اللذة كان شره أعظم من خيره والشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تأمر بما تترجح مصلحته، وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد، وتنهى عما ترجحت مفسدته وإن كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره، ولهذا أمر تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنز إلينا من ربنا فالأحسن إما واجب وإما مستحب قال تعالى: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وقال: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر: ٥٥]، فأمر باتباع الأحسن به»(٢).

وفيما ذكره ابن تيمية من أحكام اللذات نسجل هذه الوقفات:

الأولى: الربط بين الدين والحياة، وأن الدين لا يمكن أن يكون بمعزل عن الحياة، بل يقود زمامها فلذات الجسد ولذات للنفس ولذات للعقل فلذة أكله وشربه ولباسه ونكاحه وجهاده عدوه، وعلمه وإيمانه وعبادته يثاب المؤمن عليها إذا قصد بها وجه الله تعالى، فلا بد من اللذات المباحة الجميلة(٣)، وإنما خلق الله اللذات في الأصل لتمام مصلحة الخلق، فإنهم بذلك يجتلبون ما ينفعهم(٤).

الثانية: خطأ النظرة المتوارثة عن أهل السنة، على أنهم متشددون في تعاملهم مع المرأة، فقد

---

(١) الاستقامة، ابن تيمية (٢/ ١٥٧).

(٢) الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح، ابن تيمية (٦/ ١٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٦٨).

(٤) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

كشفت الأسطر السابقة من كلام ابن تيمية عن البعد الفقهي المؤصل بالدليل الشرعي بالإحسان إلى المرأة بتمكينها من اللذة التي هي في حق الرجل باطل، وكونها من الحق المستحب والمأمور به لهن بل ويثاب عليه.

الثالثة: ضرورة التماس الحكمة والمعرفة الكاملة بطبيعة النفس البشرية والأساليب الموائمة لكل حالة، وفي كل موقف، تبعاً لأحكام اللذة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وإعطاء كل حالة ما يخصها من حكم.

الرابعة: إن هذا التفصيل في أحكام اللذة يجعل من الدين والتشريع في الإسلام أداة لا مندوحة عنها لتحقيق السعادة، لكل من أفراد الجنس البشري، وهذا ما لا نجده لدى أي مذهب من مذاهب الأخلاق من على حدة.

المطلب الرابع: شروط حصول اللذة

لحصول اللذة لا بد من ثلاثة أمور وهي كما يذكر ابن تيمية – رحمه الله تعالى –:

الأول: الحب كالشهوة للطعام.

والثاني: إدراك المحبوب كأكل الطعام، وهذا الثاني يسمى إدراكاً وذوقاً ونيلاً ووجداً ووصالاً ونحو ذلك مما يعبر به عن إدراك المحبوب سواء كان بالباطن أو الظاهر.

والثالث: اللذة إلى الحاصلة بذلك، واللذة أمر مغاير للشهوة ولذوق المشتهي بل هي حاصلة لذوق المشتهي ليس نفس ذوق المشتهي وهي أمر يحسه الحي ظاهراً وباطناً(١).

فلا توجد اللذة إلا بحب وذوق؛ وإلا فمن أحب شيئاً ولم يذق منه شيئاً لم يجد لذة كالذي يشتهي الطعام، ولم يذق منه شيئاً، ولو ذاق ما لا يحبه لم يجد لذة كمن ذاق ما لا يريده فإذا اجتمع حب الشيء وذوقه حصلت اللذة بعد ذلك(٢).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٣٢٧-٣٢٦).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

المطلب الخامس: أحوال اللذات

أولاً: اللذات بالمعصية: فاللذات تارة تكون بمعصية من ترك مأمور أو فعل محظور كاللذة الحاصلة بالزنا وبموافقة الفساق وبظلم الناس، وبالشرك والقول على الله بغير علم، فهنا المعصية هي سبب للعذاب الزائد على لذة الفصل، لكن ألم العذاب قد يتقدم وقد يتأخر، وهي تشبه أكل الطعام الطيب الذي فيه من السموم ما يمرض أو يقتل ثم ذلك العذاب يمكن دفعه بالتوبة وفعل حسنات أُخر. لكن يقال تلك اللذة الحاصلة بالمعصية لا تكون معادلة لما ما في التوبة عنها، والأعمال الصالحة من المشقة والألم ولهذا قيل ترك الذنب أمر من التماس التوبة، وقيل رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً(١).

ثانياً: اللذات بغير معصية: وتكون اللذات بغير معصية من العبد بأن يطيع الله فيها؛ فيجتنب فيها ترك مأموره وفعل محظوره كما يؤتاه العبد من المال والسلطان ومن المأكل والمناكح التي ليست بمحرمة.

والفرق في الحال بين الكافر الفاجر والمؤمن: أن الكافر الفاجر صاحب الإرادة الفاسدة إما عاجز وإما قادر، فإن كان عاجزاً تعارضت إرادته وقدرته حتى لا يمكن الجمع بينهما وإن كان قادراً أقبل على الشهوات وأسرف في التذاذه بها ولا يمكنه تركها، ولهذا تجد القوم من الظالمين أعظم الناس فجوراً وفساداً وطلباً لما يروحون به أنفسهم من مسموع ومنظور ومشموم ومأكول ومشروب، ومع هذا فلا تطمئن قلوبهم بشيء من ذلك هذا فيما ينالونه من اللذة، وأما ما يخافونه من الأعداء فهم أعظم الناس خوفاً، ولا عيشة لخائف وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم لا يزال في أسف على ما فاته وعلى ما أصابه.

وأما المؤمن فهو مع قدرته، له من الإرادة الصالحة والعلوم النافعة ما يُوجب طمأنينة قلبه

(١)انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (٢/ ٣٤٨).

وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه وهو مع عجزه أيضاً له من أنواع الإرادات الصالحة والعلوم النافعة التي يتنعم بها ما لا يمكن وصفه.

فلذات أهل البر أعظم من لذات أهل الفجور.

وكل هذا محسوس مجرب وإنما يقع غلط أكثر الناس أنه قد أحس بظاهر من لذات أهل الفجور وذاقها ولم يذق لذات أهل البر ولم يخبرها(١).

وأخيراً يخبرنا شيخ الإسلام ابن تيمية أن أعلى أحوال اللذات وأعظم لذة للمؤمن هي رؤية الله تعالى في الآخرة، وهي غايته الكبرى وهي أعلى أحوال اللذات وأرقى درجات السعادة في الآخرة، وما من مؤمن إلا إذا ذكر له رؤية الله اشتاق إلى ذلك شوقاً لا يكاد يشتاقه إلى شيء آخر(٢).

---

(١)انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (٢/ ٣٦٦-٣٦٣).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٣/ ١٣٩ ومابعدها).

المبحث الثاني:
موقف ابن تيمية من مذهب اللذة عند الفلاسفة

وفيه ثلاثة مطالب:

يتفق شيخ الإسلام ابن تيمية مع الفلاسفة في أن اللذة مقصودة لذاتها، وأن من لم يحصل له اللذة لم يحصل له مقصود الحياة(١)، ويتفق معهم أيضاً في تفضيل اللذات الباطنة على الحسية(٢)، وفي تفضيل لذات الآخرة على لذات الدنيا(٣).

وثمة مسائل في مذهب اللذة عند الفلاسفة وقف منها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – موقف الناقض لها، وبيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف اللذة عند الفلاسفة ومناقشتها

لا يتفق شيخ الإسلام ابن تيمية مع الفلاسفة في تعريفهم للذة، إذ هي عندهم كما يعرفها ابن سينا(٤) بقوله: «اللذة هي إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك»(٥)، ويقول: «اللذة ليست إلا إدراك الملائم من جهة ما هو ملائم»(٦).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/ ٢٩٨).

(٢) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية (١/ ٤٣٢).

(٣) انظر: الاستقامة، ابن تيمية (٢/ ١٥١).

(٤) ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الملقب بالشيخ الرئيس، أبوه من دعاة الإسماعيلية، درس على يد دعاة الإسماعيلية مبادئ الفلسفة والهندسة والحساب، ثم درس الطب وذاع صيته، من مؤلفاته «كتاب الشفاء» و«كتاب النجاة» مات سنة ٤٢٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٧-٥٣١-٥٣٦).

(٥) الإرشارات والتنبيهات، ابن سينا (٢/ ٨٧).

(٦) الإلهيات، ابن سينا (٢/ ٣٦٩).

ويعرفها فخر الدين الرازي[1] بقوله:«اللذة إدراك الملائم»[2].

وقد نقض شيخ الإسلام ابن تيمية تعريفهم اللذة بأنها إدراك الملائم أو الشعور بالملائم بالأوجه التالية:

الوجه الأول: إن في قولهم: إن اللذة إدراك الملائم، عليه يكون الإدراك على قولهم جنساً تحته نوعان: أحدهما اللذة، وإن كان أحدهما اللذة فينبغي أن يكون الألم إدارك المنافي، فيكون أحد نوعيه اللذة والآخر الألم، ويكون نفس العلم والسمع والبصر والذوق تارة ألماً وتارة لذة، وفساد هذا معلوم بالضرورة، وينبغي أن يكون قول القائل: علمت هذا ورأيته وسمعته إذا كان ملائماً له بمنزلة قوله تنعمت به وفرحت به وسررت به وابتهجت به، وبمنزلة قوله تأذيت به ونحو ذلك، ومعلوم فساد هذا وهذا.

الوجه الثاني: لا تكون اللذة إلا في إدراك الملائم فلا بد أن يكون المعروف المعلوم المشعور به المدرك ملائماً للعالم العارف الشاعر المدرك حتى يكون في إدراكه له لذة، ومعلوم أن ما لاءم الشيء فهو محب له وما نافره فهو مبغض له فلا بد في اللذة والألم من ثلاثة أمور ملائمة ومنافرة بين المدرك والمدرك ومحبة أو بغضة من المدرك للمدرك ثم علم به وإدراك له ثم تحصل اللذة أو الألم بعد هذا[3].

الوجه الثالث: أن اللذة ليست هي الإدراك ولكن الإدراك سببها، فهي حاصلة عنه كحصول الصوت عن الحركة والشبع عن الأكل، وذلك أن الإنسان يشتهي الطعام فيأكله فيلتذ به، هنا ثلاثة أشياء شهوة وإدراك ولذة؛ فليست اللذة هي نفس الأكل والذوق وإنما هي

(١) فخر الدين الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي، ويقال له ابن خطيب الري، من كبار متكلمي الأشاعرة، من مصنفاته: أساس التقديس، ومعالم أصول الدين توفي سنة ٦٠٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢١/ ٥٠١).

(٢) المباحث المشرقية، فخر الدين الرازي (١/ ٤٢٧).

(٣) انظر: الصفدية، ابن تيمية (٢/ ٢٧١).

أمر آخر يحصل بالأكل والذوق، وهو أمر يجده الإنسان من نفسه فلا يعبر عنه بعبارة بمعنى أبين منه، وكل حي يجد في نفسه اللذة والألم[1].

الوجه الرابع: أن منشأ غلطهم جعلهم المعاني المتعددة شيئاً واحداً فيجعلون العلم والقدرة والإرادة شيئاً واحداً؛ بل يجعلون العلم هو العالم والقدرة هي القادر فكذلك جعلهم اللذة هي الإدراك، وفي موضع آخر يجعلون الشيء الواحد أشياء متعددة كما يجعلون الحقائق الموجودة في الخارج شيئين ويجعلون صفاتها اللازمة لها ثلاثة أشياء مقومة داخلة فيها ولازمة لماهيتها.

الوجه الخامس: أن اللذة لا تكون إلا مع محبة فما لا يكون محبوباً لا يكون في إدراكه لذة، وحب الشيء زائد على التصور المشروط في محبته، فكذلك اللذة به زائدة على الإدراك المشروط في اللذة[2].

الوجه السادس: أن الإدراك يتوسط بين المحبة واللذة فإن الإنسان مثلاً يشتهي الطعام فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة، فاللذة تتبع النظر إلى الشيء فإذا نظر إليه التذ فاللذة تتبع النظر ليس نفس النظر، وليست هي رؤية الشيء، بل تحصل عقيب رؤيته، وقال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام من فرح وحزن ونحو ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب، أو الشعور بالمكروه، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن[3].

---

(١) انظر: الصفدية، ابن تيمية(٢/ ٢٣٥).

(٢) انظر: الصفدية، ابن تيمية (٢٣٦).

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (٢/ ٣٩٣).

المطلب الثاني: أنواع اللذات عند الفلاسفة وحقيقتها ومناقشة شيخ الإسلام لهم

حصر الفلاسفة اللذات في ثلاثة أجناس حسية ووهمية وعقلية، ولكنهم لا يرون الحقيقة إلا في اللذة العقلية، ولا يرون في اللذات الحسية لذات حقيقية فهي لا تعدو في نظرهم إلا أنها مجرد زوال للآلام، فلذة الأكل مثلاً ترجع إلى زوال ألم الجوع، ولذة اللبس سببها دفع ألم الحر والبرد.

يقول فخر الدين الرازي: «إن هذه اللذات الحسية، إذا بحث عنها، فهي ليست لذات، بل حاصلها يرجع إلى دفع الآلام، والدليل عليه أن الإنسان كلما كان أكثر جوعاً كان الالتذاذ بالأكل أتم، وكلما كان الجوع أقل كان الالتذاذ بالأكل أقل»[1].

ويقول في سياق آخر: «إن الإنسان يشاركه في لذة الأكل والشرب جميع الحيوانات، حتى الخسيسة منها، فلو كانت هي السعادة والكمال، لوجب ألا يكون للإنسان فضيلة في ذلك على الحيوانات»[2].

ويقول محمد بن زكريا الرازي[3]: «إن اللذة ليست سوى الراحة من الألم، ولا توجد لذة إلا على أثر ألم»[4].

أما تقسيمهم اللذات إلى حسية ووهمية وعقلية فلا إشكال فيه عند شيخ الإسلام ابن تيمية، والإشكال عنده يأتي في زعمهم أن اللذات الحسية ليست بلذات وأنها مجرد زوال للآلام.

---

(١) الأربعين، الفخر الرازي (ص٢٩٤)، وانظر التفسير الكبير، الفخر الرازي (٣١/ ١٨٣).

(٢) المطالب العالية، الفخر الرازي (٧/ ٢٩٩).

(٣) محمد بن زكريا الرازي، فيلسوف طبيب، وكان يميل إلى الاعتزال، من مصنفاته «الحاوي في الطب» مات سنة ٣٧٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٦/ ٣٤١).

(٤) رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (ص١٤٨).

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية على دعواهم تلك بالتالي:

١- أن هذه مكابرة لما هو من أظهر الحسيات الذوقيات الموجودات، فإن إحساس الحيوان باللذة من أعظم الإحساس، وإحساسه لذة الأكل والنكاح أمر هو أظهر عند الحيوان من أكثر الأشياء، فقول المتحذلق: إن هذه ليست لذة وإنما هي دفع آلام، كلام فاسد، فإنه لا ريب أن هنا لذة، وهنا فقد ألم، فالأمران موجودان(١).

٢- أنهم مخالفون للحقيقة الشرعية الدينية فإن أحدهم لا بد أن يلتذ بشيء ويتألم بشيء فيميز بين ما يأكل ويشرب وما لا يأكل ولا يشرب وبين ما يؤذيه من الحر والبرد وما ليس كذلك، وهذا التمييز بين ما ينفعه ويضره هو الحقيقة الشرعية الدينية(٢).

٣- أن تمييز اللذات الحسية إنما يكون مع صحة الفطرة وسلامتها؛ وأما مع فسادها فقد يحس الإنسان باللذيذ فلا يجد له لذة بل يؤلمه، وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة والفساد يتناول القوة العلمية والقوة العملية جميعاً كالمريض الذي يجد العسل مراً فإنه فسد نفس إحساسه حتى كان يحس به على خلاف ما هو عليه للمرة التي مازجته(٣).

٤- لو كانت اللذة أمراً عدمياً، أو كان ما يظن أنه لذة في الحقيقة إلا دفعاً لألم للزم ألا يكون تفاوت بين لذة وأخرى، والإنسان إنما يحب ما يلائمه ويناسبه وله به لذة ونعيم، ونفسه لا تلائم العدو المحض والنفي الصرف ولا تناسبه ولا له في العدم المحض لذة ولا سرور ولا نعمة ولا نعيم ولا خير أصلاً ولا فائدة قطعاً؛ بل محبة العدم المحض كعدم المحبة واللذة بالعدم المحض كعدم اللذة وما ليس شيء أصلاً كيف يكون فيه منفعة أو لذة أو خير، ولكن نفسه تحب ما لها فيه منفعة ولذة مثل محبة اللبن عند ولادته ولغير ذلك من الأغذية، ثم لما يلتذ به من منكوح ونحوه، ثم ما يلتذ به من شرف ورياسة ونحو ذلك، ثم ما يلتذ به من العقل

(١) انظر: جامع المسائل، ابن تيمية (٦/ ١٨٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/ ١١٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ٢٦).

والعلم والإيمان ويحب ما يدفع عنه المضرة من اللباس والمساكن والخير الذي يقيه عدوه من الحر والبرد والآدميين المؤذين والدواب المؤذية وغير ذلك فيحب وجود ما ينفعه وعدم ما يضره والنافع له إنما هو أمر موجود. وأما الضار له فتارة يراد به عدم النافع فإن أكثر ما يضره عدم النافع وعدم النافع إنما يقصد بوجود النافع وتارة يضره أمر موجود فذلك الذي يضره لم يبغض منه إلا مضرته له، ومضرته له إزالة نعيمه أو تحصيل عذابه(١).

أما دعوى الفلاسفة أن اللذة الحقيقية هي اللذة العقلية والتي لا تحصل إلا بالعلم بالله كما يقول الفخر الرازي:«اللذة لا تحصل إلا بالعلم بالله تعالى والاستغراق في محبته»(٢)، ونص الرازي على أن اللذة العقلية هي: القوة العملية وكمال حالها في التشبه بأخلاق الله – تعالى – قدر الطاقة البشرية(٣).

ويقول الغزالي(٤) اللذة أن تصير النفس:«عالماً عقلياً مرتسماً فيه صورة الكل، والنظام المعقول في الكل، والخير الفائض في الكل... حتى تستوفي في نفسه هيئة الوجود كله، فينقلب عالماً معقولاً موازياً للعالم الموجود كله، مشاهداً لما هو الحس المطلق، والجمال المطلق ومتحداً به، ومنتقشاً بمثاله وهيئته، ومنخرطاً في شكله، وصائراً من جوهره»(٥).

ومن إنصاف شيخ الإسلام ابن تيمية وموضوعيته مع المخالفين لشرع الله أنه يذكر ما معهم من موافقة الحق، وهذا ما قرره في هذه المسألة إذ يقول:«ما ذكروه من حصول اللذة في

(١)انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٠/ ١٣١-١٣٠)، (٧/ ٢٥).
(٢) الملخص، فخر الدين الرازي (ص١٦٣).
(٣) انظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي (١٩/ ١٧٦).
(٤) الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي، من كبار متكلمي الأشاعرة، اشتغل بالفلسفة، وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، من مصنفاته: إحياء علوم الدين، توفي سنة ٥٠٥هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩/ ٣٤٦-٣٢٢).
(٥) معارج القدس، الغزالي (ص١٤٩).

القلب والنعيم بالإيمان بالله والمعرفة به فهو حق وهو سبب دخول الجنة»[1]

أما وجه غلطهم في ذلك فبينه بالأوجه التالية:

أولها: إنهم غلطوا بجعلهم اللذة هي مجرد العلم، والحق أن يقال: إن السعادة وهي اللذة والبهجة والسرور الذي يحصل للنفس بما تعلمه من المعارف ليس هو نفس العلم؛ بل هو أمر يحصل بشرط العلم فالعلم شرط فيه ليس موجباً له فضلاً عن أن يكون هو إياه، وهؤلاء غلطوا من وجهين من ظنهم أن مجرد العلم موجب لذلك، والثاني أنهم جعلوا اللذة نفس الإدراك والعلم فقالوا: اللذة هي إدراك الملائم من جهة كونه ملائماً وهذا غلط فإن اللذة ليست هي نفس الإدارك ولكن هي حاصلة عقب الإدراك.

ثانياً: أنهم أخطؤوا في جعلهم جنس العلم غاية لأن العلم بحسب المعلوم، فالمعلوم المحبوب تحبه النفس، وبالعكس المكروه تحذره وتدفع ضرره. يقول ابن تيمية:«إن العلم بحسب المعلوم فإذا كان المعلوم محبوباً تكمل النفس بحبه كان العلم به كذلك، وإن كان مكروهاً كان العلم به لحذره ودفع ضرره كالعلم بما يضر الإنسان من شياطين الإنس والجن، فلم يكن المقصود نفس العلم بل المعلوم»[2].

ولهذا قد يقولون سعادتها في العلم بالأمور الباقية وأنها تبقى ببقاء معلومها ثم يظنون أن الفلك والعقول والنفوس أمور باقية وأن بمعرفة هذه تحصل سعادة النفس.

الثالث: إن صلاح النفس في محبة المعلوم المعبود، وهي عبادته لا في مجرد علم ليس فيه ذلك، وهم جعلوا غاية النفس التشبه بالله على حسب الطاقة، وكذلك جعلوا حركة الفلك للتشبه به، وهذا ضلال عظيم، فإن جنس التشبه يكون بين اثنين مقصودهما واحد كالإمام والمؤتم به وليس الأمر هنا كذلك؛ بل الرب هو يعرف نفسه ويحب نفسه ويثني على نفسه

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/ ١٦٧).

(٢) النبوات، ابن تيمية (١/ ٣٨٢).

والعبد نجاته وسعادته في أن يعرف ربه ويحبه ويثني عليه. والتشبه به أن يكون هو محبوباً لنفسه مثنياً بنفسه على نفسه وهذا فساد في حقه وضار به، والقوم أضل من اليهود والنصارى؛ بل ومن مشركي العرب فإنه ليس الرب عندهم رب العالمين وخالقهم ولا إلههم ومعبودهم. ومشركوا العرب كانوا يقرون بأنه خالق كل شيء وما سواه مخلوق له محدث، وهؤلاء الضالون لا يعترفون بذلك(١).

الوجه الرابع: أن هذه المعرفة العقلية ليست معرفة حقيقية، وما عندهم ليس هو علم بالله بل هو جهل وحيرة، وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية بحال الرازي بعد أن خاض في الفلسفة وعلم الكلام وخبر طرائقهما وجد أنهما لم يعودا عليه باللذة العقلية، فأصابته خيبة أمل أنكر معها قدرة الإنسان أن ينال لذة عقلية ما، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ما قاله الرازي في كتابه اللذات:

نهاية إقدام العقول عقال	**ونهاية سعي العالمين في ضلال**
وأرواحنا في وحشة من جسومنا	**وغاية دنيانا أذى ووبال**
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	**سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا**

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ واقرأ في النفي ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي(٢).

الوجه الخامس: أن النفس لها قوة الإرادة مع الشعور وهما متلازمان وهؤلاء لاحظوا

(١)انظر: المرجع السابق (١/ ٤٠٦).

(٢)انظر: المرجع السابق (١/ ٤٠٧).

شعورها وأعرضوا عن إرادتها وهي تتقوم بمرادها لا بمجرد ما تشعر به فإنها تشعر بالخير والشر والنافع والضار ولكن لايجوز أن يكون مرادها ومحبوبها إلاما يصلحها وينفعها وهو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة غيره وهو الله لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ثم مع هذا يكون العلم حقاً وهو ما أخبرت به السل فالعلم الحق هو ما أخبروا به والإرادة النافعة إرادة ما أمروا به وذلك عبادة الله وحده لا شريك له فهذا هو السعادة وهو الذي اتفقت عليه الأنبياء كلهم فكلهم دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وذلك إنما يكون بتصديق رسله وطاعتهم فلهذا كانت لسعادة متضمنة لهذين الأصلين الإسلام والإيمان عبادة الله وحده وتصديق رسله وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[1].

الوجه السادس: أن النفس لو قدر كمالها في مجرد العلم فليس هو العلم بوجود مطلق وأمور كليات تقوم بنفسه، وهذه هي العقليات التي يجعلونها كمال النفس لا سيما على رأي ابن سينا وموافقيه الذين يزعمون أن الأمور المعينة الشخصية لا تدرك إلا بجسم أو قوة في جسم، والنفس عندهم ليست كذلك فلا تدرك شيئاً من المعينات الموجودة في الخارج، وهذا مما نفوا به كون الباري تعالى يعلم المعينات الموجودة المسماة بالجزئيات؛ فهو عندهم لا يعلم أمراً مطلقاً كلياً وكذلك النفس فليس هذا علماً حقيقياً مطلوباً بالقصد الأول، وإنما العلم الحقيقي المطلوب بالقصد الأول هو العلم بالموجودات الخارجة الثابتة في نفسها[2].

(١) انظر:المرجع السابق (١/ ٤١٠).
(٢) انظر: المرجع السابق (١/ ٤١١)

المطلب الثالث:

إثبات اللذات العقلية لله تعالى عند الفلاسفة ومناقشتها

ذهبت الفلاسفة إلى إثبات اللذات العقلية لله تعالى، يقول الفارابي(١):«وله غاية الجمال والكمال والبهاء وله أعظم السرور بذاته، وهو العاشق الأول والمعشوق الأول»(٢).

ويقول ابن سينا:«فالواجب الوجود الذي هو في غاية الكمال والجمال والبهاء، فتكون ذاته لذاته أعظم عاشق ومعشوق وأعظم لاذ وملتذ، فإن اللذة ليست إلا إدراك الملائم، من جهة هو ملائم»(٣).

ويقول الرازي في المباحث المشرقية:«فلله عنده البهاء المحصن والجمال المحض، وهو مصور كل جمال وبهاء، والجمال محبوب لذاته، وكلما كانت القوة أقوى إدراكاً للجمال، كانت المحبة أكبر والعشق أتم، وواجب الوجود، إذا أدرك ذاته بإدراكه الأقوى والأكمل، وذاته في غاية الجمال والجلال فقد أدرك أكمل الموجودات وأجلها بأكمل إدراك، فحصل لذاته أكمل ابتهاج لذاته، فكانت ذاته أعظم عاشق ومعشوق، وأعظم لاذ وملتذ»(٤).

وقد أجاب شيخ الإسلام عن دعواهم بالتالي:

أولاً: لفظ اللذة لم يرد به الشرع وهو موهم ومجمل، والشرع لم يرد بإطلاقه لكن جاء الشرع بأنه يحب ويرضى، وأيضاً فالكتاب والسنة إنما أطلق الحب والبغض والود والمقت والرضا والغضب والفرح والأذى دون لفظ اللذة والألم، لأن هذين الأسمين كثيراً ما يطلقان في خصائص المخلوق

(١) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، درس في بغداد على معلم نصراني هو يوحنا دحيلان، وكذلك المنطق والفلسفة من مؤلفاته: رسالة في آراء أهل المدينة الفاضلة وكتاب الحروف، توفي سنة ٣٣٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٨).

(٢) عيون المسائل، الفارابي (ص٥١).

(٣) الشفاء، ابن سينا (٢/ ٣٦٩).

(٤) المباحث المشرقية ، الفخر الرازي(٢/ ٤٩٤).

التي تنفعه وتضره، مثل الأكل والشرب والنكاح، ومثل المرض الذي هو الوصب والنصب والجوع والعطش والعذاب بالنار ونحو ذلك(١).

ثانياً: كذلك لفظ اللذة فيه من التشبيه واحتمال النقص ما لا يخفى على عاقل(٢).

ثالثاً: إثباتكم أنه لاذ وملتذ يبطل أصل كلامكم من إنكار الصفات الإرادية ويمكن وصفه بصفات الكمال وبالأفعال الكاملة الإرادية التي لا يفتقر فيها إلى غيره ولا يكون فيه نقص يحتاج فيه إلى تمام من خارج(٣).

رابعاً: هؤلاء الفلاسفة يقولون إنه يوصف بذلك لكن يتناقضون فيزعمون أن اللذيذ والملتذ واللذة شيء واحد بالعين فيجعلون الصفة هي الموصوف ويجعلون إحدى الصفتين هي الأخرى، ويقولون إن نفس العلم هو نفس اللذة وهو نفس العالم وهو الملتذ، وهذا مما يعلم بطلانه بصريح المعقول(٤).

خامساً: إطلاق لفظ «اللذة» بالمعنى الذي فسروه به ليس بباطل، لكن اتباع الألفاظ الشرعية في هذا الباب من الأدب المشروع لنا، إما إيجاباً وإما استحباباً، فإذا تركنا إطلاق هذا اللفظ مع صحة المعنى، فلعدم جواز الخروج عن الألفاظ الشرعية في هذا الباب، أو لاستحباب ترك الخروج عن الألفاظ الشرعية في هذا الباب(٥).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ١٣٢)، وجامع الرسائل (٦/ ٥٤)، والنبوات (١/ ١٠١).

(٢) انظر: درء التعارض ،ابن تيمية(٥/ ٨٢).

(٣) انظر: درء التعارض، ابن تيمية (٩/ ٣١٠).

(٤) انظر: الصفدية، ابن تيمية (٢/ ٢٦٤).

(٥) انظر: جامع المسائل، ابن تيمية (٦/ ٦٥).

المبحث الثالث:

النتائج المترتبة على مذهب اللذة عند الفلاسفة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه ثلاثة مطالب:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مذهب المتفلسفة ومن حذا حذوهم في اللذات قد جرهم إلى الدين الفاسد في الدنيا بالاعتقادات الفاسدة، والعبادات والزهادات الفاسدة وإلى التكذيب بحقيقة ما أخبر الله به على ألسن رسله من وعده ووعيده.

فما هي الاعتقادات الفاسدة التي بنوها على مذهبهم في اللذات؟

وما هي العبادات والزهادات الفاسدة التي ترتبت على مذهبهم في اللذات؟

وما وجه تكذيبهم بحقيقة ما أخبر الله على ألسن رسله بناءً على مذهبهم في اللذات؟

هذا ما سيأتي بيانه في المطالب التالية:

المطلب الأول:

الاعتقادات الفاسدة التي بناها الفلاسفة على مذهبهم في اللذات

أولاً: إنكار رؤية الله بالأبصار يوم القيامة.

يرى ابن تيمية وكما هو ثابت بنصوص الشرع أن لذة النظر إلى وجه الله هي من أعظم اللذات، وأنها أعظم من كل نعيم يؤتاه أهل الجنة(١)، والفلاسفة يثبتون رؤية الله - عز وجل - والنظر إليه؛ ولكن بناءً على مذهبهم في اللذات وأن اللذة العقلية هي اللذة الحقيقية وتفسيرها بالعلم بالله، فإن الرؤية عندهم ليست إلا العلم؛ فكما أن الإنسان يرى الشيء بعينيه وقد يمثل له خياله إذا غاب عنه فهكذا العلم ففي الدنيا ليس عندهم من العلم إلا مثال كالخيال في الحساب، وفي الآخرة يعلمونه بلا مثال، وهو عندهم «وجود لا داخل العالم ولا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١/ ٢٧).

خارجه»، و«كشف الحجاب» عندهم رفع المانع الذي في الإنسان من الرؤية، وهو أمر عدمي فحقيقته جعل العبد عالماً(١).

فأثبتوا لذة النظر إليه في الآخرة، وجعلوا ذلك هو نفس العلم لوجوده، وقد سلك هذا المسلك أبو نصر الفارابي وغيره من الفلاسفة، فأقروا بما أخبر به الرسول من رؤية الله في الآخرة وفسروا الرؤية بهذا المعنى الذي أثبتوه في أصولهم الفاسدة(٢).

ولذلك هم ينكرون اللذة بالمشاهدة والخطاب، ويقولون ما التذ عارف قط بالمشاهدة لأنها على أصولهم مشاهدة وجود مطلق ولا لذة فيها(٣).

ثانياً: دعواهم الفناء في توحيد الربوبية.

ترتب على إنكار الفلاسفة للذات الحسية دعواهم الفناء في توحيد الربوبية والاصطلام، وأنه يبقى في عين الجمع بحيث لا يفرق بين ما يؤلم أو ما يلذ، فإن القوم قد يحصل لأحدهم هذا المشهد (مشهد الفناء في توحيد الربوبية) فيزعم أنه لا يشهد فرقاً بين اللذة والألم، فيظن هذا الفناء مقاماً محموداً ويجعله إما غاية وإما لازماً للسالكين، وهذا غلط، فإن عدم الفرق بين ما ينعم ويتعذب أحياناً هو مثل عدم الفرق بين النوم والنسيان والغفلة والاشتغال بشيء عن آخر، وهو لا يزال الفرق الثابت في نفس الأمر، ولا يزيل الإحساس به إذا وجد سببه، والواحد من هؤلاء لا بد أن يجوع أو يعطش فلا يسوى بين الخبز والشراب وبين الملح الأجاج والعذب الفرات، بل لا بد أن يفرق بينهما ويقول: هذا طيب وهذا ليس بطيب، وهذا هو الفرق هو أن من الأمور ما ينفع ويوجب اللذة والنعيم ومنها ما يضر ويوجب الألم والعذاب، فبعض هذه الأمور تدرك بالحس وبعضها يدركها الناس بعقولهم(٤)، إلا أن القوم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤-١٦٣-١٦٤).

(٢) انظر: الصفدية، ابن تيمية (٢/ ٢٦٤).

(٣) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (١/ ١١٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨/ ٣١١).

أنكروا لذات الحس فزعموا الفناء بحيث لا يفرق بين ما يؤلم أو ما يلـذ.. إذ لا وجـود حقيقـة لذلك.

ثالثاً: الإرجاء (إخراج العمل عن مسمى الإيمان).

وبفهم عميق لحقيقة مذهب الفلاسفة يربط شيخ الإسلام ابن تيمية بين مـذهب الإرجـاء القائل بأن الإيمان هو مجرد العلم والتصديق دون العمل، وبين مذهب الفلاسفة القـائلين بـأن اللذة الحقيقية هي مجرد العلم، وحقيقة العلم عندهم هو العلم بالكليات التي لا وجود لها في الخارج، وغاية الإنسان أن يصير عاقلاً معقولاً موازياً للعالم الموجود.

فيقول:«وقول جهم ومن وافقـه: إن الإيـمان مجـرد العلـم والتـصديق، وهـو بـذلك وحـده يستحق الثواب والسعادة، يشبه قـول مـن قـال مـن الفلاسـفة المشائين وأتبـاعهم: إن سـعادة الإنسان في مجرد أن يعلم الوجود على ما هو عليه»[1].

ولو تأملنا ما ذهب إليه الفلاسفة من تعريف اللذة بأنهـا: إدراك الملائـم وإسـقاطهم شرط حصولها وهو المحبة الباعث على العبادة وأحد أركانها لوجدنا أنه يتطابق مـع مـا وصـلوا إليـه من الإرجاء، حتى عدوا العبادات رياضـة للنفـوس ولإصـلاح الإخـلاق، حتـى صـاروا مـن أبعد الناس عن محبة الله وعبادته، بل هم أبعد عن ذلك من اليهود والنـصارى بكثـير، ويظهـر فيهم من ترك العبادات والأوراد والأذكار والدعوات ما لا يظهر في اليهود والنصارى[2].

حتى تركوا شرائع الأنبياء، حتى قال أحدهم: لو كـان النـاس كلهـم مثلي مـا احتـاجوا إلى نبي[3].

---

(١) الإيمان الأوسط، ابن تيمية (١/ ١٩٨).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٦/ ٧٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/ ١٦٦)، وانظر: الصفدية، ابن تيمية (٢/ ٢٦٦).

بل انتهى الأمر بهم إلى أن الواصل عندهم إلى العلم المطلوب قد يبيحون له محظورات الشرائع حتى الفواحش والخمر وغيرها، إذا كانوا ممن يعتقد تحريم الخمر، وإلا فغالب هؤلاء لا يوجبون شريعة الإسلام بل يجوزون التهود والتنصير، وكل من كان من هؤلاء واصلاً إلى علمهم بدون عمل فهو سعيد[١].

رابعاً: إهمالهم للمعارف العقلية الدينية الشرعية.

من أوجه الفساد في التصور الفلسفي للذة، إهمالهم للمعارف المستقاة من مشكاة النبوة ويقصد ابن تيمية بذلك: العلوم العقلية التي بيَّنها الرسل للناس بالبراهين العقلية في أمر معرفة الرب وتوحيده، ومعرفة أسمائه وصفاته، وفي النبوات والمعاد، وما جاءوا به من مصالح الأعمال التي تورث السعادة في الآخرة، فإن كثيراً من ذلك قد بينه الرسل بالأدلة العقلية، فهذه العقليات الدينية الشرعية الإلهية هي التي لم يشموا رائحتها، ولا في علومهم مايدل عليها[٢].

ويقول: «ثم إنهم – الفلاسفة – بمثل هذه الطرق الفاسدة يريدون خروج الناس عما فطروا عليه من المعارف اليقينة، والبراهين العقلية، وما جاءت به الرسل من الأخبار الإلهية»[٣].

(١) انظر: المرجع السابق (١٤/ ١٦٤).
(٢) انظر: الرد على المنطقيين، ابن تيمية (ص٣٩٤).
(٣) المرجع السابق (٣٢٣).

المطلب الثاني:

العبادات والزهادات الفاسدة التي ترتبت على مذهب الفلاسفة في اللذات

لما جعل المتفلسفة اللذات الحقيقية في العلم وجعلوا جنس العلم غاية، وظنوا أن سعادة النفس في العلم بالأمور الباقية وأنها تبقى ببقاء معلومها، ثم ظنوا أن الفلك والعقول والنفوس أمور باقية وأنه بمعرفتها تحصل سعادة النفس رتبوا على ذلك تعظيم الزهد في أغراض البدن وملذاتها أو ما يسمونه بتجريد النفس عن الهيولي والمادة، لتبقى النفس فارغة فيلقي إليها الشيطان ما يلقيه ويوهمه من أن ذلك من علوم المكاشفات والحقائق، وغايته وجود مطلق هو في الأذهان لا في الأعيان ينتهي إلى عبادة لا شيء، وقول المشركين – العرب خير منه دع قول اليهود والنصارى؛ بل قوم نوح وهود وصالح ونحوهم كانوا يقرون بالله وبملائكته وصفاته وأفعاله خيراً من هؤلاء، لكن لم يقروه بعبادته وحده لا شريك له ولا بأنه أرسل رسولاً من البشر، وهذا حقيقة قول هؤلاء الفلاسفة فإنهم لا يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له(1).

والعبادات عندهم كلها مقصودها تهذيب الأخلاق الشرعية سياسة مدنية، والعلم الذي يدعون الوصول إليه لا حقيقة لمعلومة في الخارج، وهم إنما يأمرون بالزهد في الدنيا لأجل أن ينقطع تعلق النفس بها وقت فراق النفس، فلا تبقى النفس مفارقة لشيء يحبه(2).

---

(1) انظر: النبوات، ابن تيمية (1/ 84-86).

(2) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (14/ 164).

المطلب الثالث:

تكذيبهم بحقيقة ما أخبر الله به على ألسن رسله من وعده ووعيده

أولاً: إنكار معاد الأبدان والأرواح ونعيمها أو عذابها وإنكار الجنة والنار.

أما وجه تكذيبهم بحقيقة ما أخبر الله به على ألسن رسله، فيتبين بأصلين:

أحدهما: أنهم اعتقدوا أن اللذات الحسية والوهمية ليست لذات في الحقيقة وإنما هي دفع آلام، وربما حسنوا العبادة فقالوا ليس المقصود بها التنعم، وإنما المقصود بها دفع الألم بخلاف اللذات العقلية الروحانية فإنها هي اللذات فقط وهي المقصودة لذاتها فقط، وعن هذا يدفعون أن تكون للنفوس بعد مفارقة الدنيا لذات حسية أو وهمية وإنما يكون لها لذات روحانية فقط(١).

وهذه اللذة الروحانية يريدون بها كمال النفس وهي أن تصير عالماً معقولاً مطابقاً للعالم الموجود ولهذا تنازعوا في بقائها بعد الموت على ثلاثة أقوال والثلاثة للفارابي فمنهم من قال: تبقى العالمة والجاهلة كما يقوله ابن سينا وأمثاله، ومنهم من يقول: بل تبقى العالمة فقط، لأنها تبقى ببقاء معلوماتها والجاهلة ليس لها معلوم باق فلا تبقى ومنهم من يقول بل كلامهما تفسد بالموت وهو قول المعطلة المحضة منهم ومن غيرهم(٢).

ولذا فإنهم يستحقرون ما وعد الناس به في الآخرة من أنواع النعيم، ويطلبون تزهيد الناس فيما رغبهم الله فيه، فما ثم «جنة» إلا لذة ما تتصف بها النفس من العلم والأخلاق الحميدة، وما ثم «نار» إلا ألم ما تتصف به النفس من الجهل والأخلاق الذميمة السيئة، فنار النفوس ألمها القائم بها كحسراتها لفوات العلم، أو لفوات الدنيا المحبوبة لها، وحجبها إنما هي ذنوبها.

---

(١) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية (٢/ ٢٥١).

(٢) انظر: الصفدية، ابن تيمية (٢/ ٢٦٧).

فلا نعيم عندهم إلا ما يقوم بالنفس من هذا، ولهذا ليس عندهم نعيم منفصل عن النفس ولا عذاب، وهؤلاء عندهم أن آدم لم يكن إلا في جنة العلم، وهبوطه انخفاض درجته في العلم، وما ورد من نصوص عن النعيم الحسي فإنما هو من باب مخاطبة العوام بما يفهمون، وتحريضهم من الباب الذي يناسب طبائعهم(١).

أما الأصل الثاني: فإنهم زعموا أن اللذات العقلية هو إدارك الوجود المطلق بأنواعه وأحكامه، وبها تحصل اللذة التي يسعد بها الناس في الآخرة وينجو بها من العذاب(٢).

ثانياً: ما ذكره الفلاسفة لا تحصل به اللذة والسعادة في الدنيا والآخرة:

ينتهي ابن تيمية بعد كل ما ذكره من نقد لنظرية اللذة عند الفلاسفة إلى حقيقة حتمية وهي أن ما «ذكره المتفلسفة من الحكمة العملية ليس فيها من الأعمال ما تسعد به النفوس وتنجو من العذاب، كما أن ما ذكروه من الحكمة النظرية ليس فيها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فليس عندهم من العلم ما تهتدي به النفوس، ولا من الأخلاق ما هو دين حق، ولهذا لم يكونوا داخلين في أهل السعادة في الآخرة»(٣).

«فلا يفلح – القلب – ولا يلتذ، ولا يسر، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، لم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده، ومحبوبه، ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة»(٤).

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/ ١٦١)، انظر: الدرء (٦/ ٧٧).
(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٦/ ٧٨)، انظر: قاعدة في المحبة، ابن تيمية (١/ ٦٥).
(٣) الجواب الصحيح، ابن تيمية (٦/ ٣٢).
(٤) الرد على الشاذلي، ابن تيمية (ص٢٠٢).

الخاتمة

بعد إتمام هذا البحث – بفضل الله وتوفيقه – يمكن إيجاز أهم النتائج والتوصيات بالتالي:

١ – نظرية اللذة عند ابن تيمية نظرية متكاملة، ومتناسقة، تقوم دعائمها على ثلاثة عناصر هي: الفطرة والشرع والعقل.

٢ – تميزت نظرية اللذة عند ابن تيمية بالمعرفة الكاملة بطبيعة النفس البشرية والأساليب الموائمة لكل حالة، وإعطاء كل حالة ما يخصها من حكم جاءت به الشريعة الإسلامية؛ ولذا ذهب ابن تيمية في نظريته إلى أن اللذة قد تكون واجبة وقد تكون مكروهة أو مستحبة أو محرمة.

٣– كذلك تميزت نظريته بإبراز جانب مهم وهو الرابط بين الدين والحياة، وأن الدين لا يمكن أن يكون بمعزل عن الحياة؛ بل يقود زمامها، فلذات للجسد ولذات للنفس ولذات للعقل فقسمها إلى (لذات حسية ووهمية وعقلية) وأنها إنما خلقت في الأصل لتمام مصلحة الخلق ليجتلبون ما ينفعهم.

٤ – بدا من نظرية اللذة عند ابن تيمية وسطية الإسلام في تعامله مع اللذات، فاللذة محمودة إذا كانت مقصودة أو معينة على المقصود، ولا ذم للذة إلا لمعارض راجح من فوات منفعة أو دخول مضرة.

٥ – من المواطن التي يتفق فيها ابن تيمية مع الفلاسفة في نظرية اللذة: اللذة مقصودة لذاتها، واللذات الباطنة أفضل من الحسية، ولذات الآخرة خير من لذات الدنيا، ويختلف معهم في تعريفهم للذة وحقيقتها وأفضل أنواعها.. وحقيقة لذة الآخرة.

٦ – المحبة مقومٌ أساسي في نظرية اللذة عند ابن تيمية، إذ يقرر في مواضع كثيرة أن المحبة شرط في حصول اللذة، ويؤكد على ضرورة استعمال هذه المحبة الفطرية للذات بجذبها إلى اللذة الحقيقية، وهي التوحيد وعبادة الله والعمل الصالح.

٧– من الجوانب البارزة في نظرية اللذة عند ابن تيمية تركيزه على النظرية والتطبيق من خلال

ربطه اللذة الحقيقية بالعلم والعمل، وتركيزه على أن كلاً منهما يقوي الآخر ويدعمه، وظهر ذلك من خلال رده على الفلاسفة عند اقتصارهم اللذة بلذة العلم دون العمل، وفي هذا توجيه من ابن تيمية للمصلحين أن يتلمسوا اللذات الزائفة في المجتمعات الإسلامية، ويكشفوا زيغها، ويبرزوا اللذات الحقيقية المرتبطة بالعلم والعمل المثمر.

٨- من الجوانب الأخرى التي تبدو في هذ النظرية، التركيز على الجوانب النفسية والوجدانية في مضمار اللذات وبدا هذا واضحاً في تمييزه في أحكام اللذات، وإبراز اختصاص المراة والصبيان بلذات واجبة ومستحبة وهي في حق من سواهم محرمة كالضرب بالدف.

٩- مما يلفت الانتباه في نظرية اللذة عند ابن تيمية اهتمامه بإبراز العنصر الجمالي في اللذات حتى قال: لا بد من اللذات المباحة الجميلة.

١٠- ظهر من خلال مناقشة شيخ ابن تيمية للفلاسفة في مذهبهم في اللذات، أن الحياد عن الشرع والعقل والفطرة قد آل بهم إلى فساد في الاعتقادات والعبادات بل وإنكار الشرائع، وتكذيب ما جاءت به الرسل من الوعد والوعيد، وهي مالآت ليست خاصة بالفلاسفة، بل هي سنة ربانية نراها في كل ذي إفراط أو تفريط في تعامله مع اللذات.

١١- إن التفصيل في نظرية اللذة كما هو الحال في كلام ابن تيمية يجعل من الدين والتشريع في الإسلام أداة لا مندوحة عنها لتحقيق السعادة، لكل من أفراد الجنس البشري، وهذا ما لا نجده لدى أي مذهب وبدا هذا واضحاً في مذهب اللذة عند الفلاسفة، فما ذكروه لا تحصل به السعادة في الدنيا ولا في الآخرة.

١٢- ختاماً اللذة الأبدية كما يقرر شيخ الإسلام هي لذة الآخرة برؤية الله -عز وجل- فهي أعظم لذة وهي الغاية التي يتنافس فيها المتنافسون، ولمثلها فليعمل العاملون. نسأل الله أن يرزقنا إياها بمحض فضله ورحمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث :

١- الأربعين في أصول الدين، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، حيدر آباد – الهند – ١٣٥٣هـ.

٢- الاستقامة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٣- الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، أبو الحسين بن علي، دار المعارف – مصر – ١٣٨٠، تحقيق: محمد يوسف موسى وسليمان دنيا.

٤- الإلهيات، ابن سينا، أبو الحسين عبد الله بن الحسن بن علي، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثالثة – تحقيق: سليمان دنيا.

٥- الإيمان الأوسط، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار طيبة للنشر – الرياض – ١٤٢٢هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمود أبو سن.

٦- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الحكمة – القاهرة – ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

٧- جامع المسائل لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عزيز شمس.

٨- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، مطبعة المدني – مصر، تحقيق: علي سيد صبح المدني.

٩- درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.

١٠- الرد على الشاذلي وحزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، أحمد بن عبد الحليم بن

تيمية الحراني، دار عالم الفوائد – مكة – الطبعة الأولى – ١٤٢٩هـ، تحقيق: علي العمران.

١١- الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر دار المعرفة، بيروت.

١٢- رسائل فلسفية، أبي بكر بن محمد بن زكريا الرازي، دار المعارف – مصر – ١٩٣٩م – جمعها بول كراوس.

١٣- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار التأصيل، القاهرة، الطبعة الأولى – ١٤٣٣هـ.

١٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٦- الشفاء، ابن سينا، أبو الحسين عبد الله بن الحسن بن علي، تحقيق: الأب قنواتي وسعيد زايد، بدون معلومات نشر.

١٧- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٨- صحيح مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٣٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٩- الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الفضيلة – الرياض – ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٠- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، مطبعة الفاروق الحديثة – القاهرة – ١٤٢٢هـ - الطبعة الأولى – تحقيق: طلعت

الحلواني.

٢١- عيون الحكمة، ابن سينا، أبو الحسين عبد الله بن الحسن بن علي، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، تحقيق عبد الرحمن بدوي.

٢٢- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: قدم له حسنين محمد مخلوف.

٢٣- المباحث المشرقية، فخر الجين محمد بن عمر الرازي، انتشارات بيداء، الطبعة الأولى، ١٣٧٠هـ.

٢٤- مجموع الفتاوى، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، الطبعة الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

٢٥- المطالب العالية، فخر الدين محمد بن عمر الرازي – حيدر آباد – الهند – ١٣٤٣هـ.

٢٦- معارج القدس، لأبي حامد الغزالي – مطبعة السعادة – مصر – ١٣٤٦هـ – ١٩٣٧م.

٢٧- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة قرطبة – ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٢٨- النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المطبعة السلفية – القاهرة، ١٣٨٦هـ.